

تحديث لغة النصوص

الكاتب



عبداللطيف الزبيدي

ما هي الأشياء التي لا تجذب الطالب إلى منهاج اللغة العربية؟ الفحص الشامل مخبرياً ضروري. أحد الأعراض الباثولوجية في الكشف العام: اللغة التي تكون قد تجاوزها الزمن، فهي لا تواكب آليات زمانها ولا تعكس إشعاع عصرها. النشء الجديد يحتاج إلى دراسة نفسيته، قبل وضع مناهج دراسته. ابن السابعة فصاعداً، وخصوصاً بعد العاشرة، يتابع بلهفة كل جديد في عالم التكنولوجيا لكونه نشأ فيها: هو شغوف بأحدث جوال من حيث سعة التخزين ووفرة الذاكرة، وأفضل حواسيب الألعاب، أسرع معالج بيانات، أقوى بطاقة جرافيك... مراهقو اليوم كأنهم تلقوا تأهيلاً تقنياً عالياً مذ كانوا أجنة. عيونهم تحيا في الواقع الافتراضي، وآذانهم لا تقنع بما دون سماعات سبع المكبرات والصوت المحيطي (دولبي أتموس). جيل كهذا يتردد على أسواق التكنولوجيا، الفعلية والشبكية، ويعرف بالضبط وتيرة ظهور الأحداث والأسرع والأقوى، فهل يُعقل أن يدخل صفوف العربية لتخاطبه النصوص بلسان لم يسمع بالمثل: «خاطب الناس بما يفهمون»؟ قبل اختيار نصوص العربية، لا بدّ من وضعها تحت مجهر الاختبار: ما هو وقعها وتأثيرها في أدمغة الطلاب؟

رحم الله الشاعر صفي الدين الحلي، الذي عاش قبل سبعة قرون، ولم ير لا ألف ولا الياء من أبجدية التقانة اليوم، ولكنه كان يسخر من التّعثر اللغوي: «إنّما الحيزبونُ والدرديسُ.. والطّخا والنّقاخ والعطلبيسُ... لغةٌ تنفّرُ المسامع منها.. حين تُروى وتشمئزّ النفوس... أين قولي هذا كئيبٌ قديمٌ.. ومقالِي عقتلٌ قُدّوسٌ... إنّما هذه القلوب حديدٌ.. ولذيذ الألفاظ مغناطيسٌ».

الآليات للتمثيل، لا للاستدلال على واقع كائن. المقصود متعدّد الغايات. ما يتجاوز الزمن لا يقتصر على اللفظ الذي كان مستعملاً في قرون غابرة، وصار مهملاً مهجوراً، كالعملّس والعرفاء الجيأل، «والسبنتى والحقص والهيقي والهجرسُ والطرقسانُ والعسطوسُ»، وإنّما يتعدّاه إلى الأفكار البالية، التي لم يعد لها حضور في ساحات الأذهان.

اليوم أضحى التعلّق بالمستقبل محور البنيان الاقتصادي التنموي والعلمي. اليوم، لا يعني التشبّث بالماضي بالموثوث

وحده، أصالةً تبعث على الفخر.اليوم، لا أمل في مناهج لا تتغيّر كل عشر سنوات كأقصى مدى، ومع تغيّر المقرّر العلميّ، يجب أن يجري تحديث لغة مقرّر اللغة.
لزوم ما يلزم: النتيجة القلبيّة: إذا ظلت الحياة العامّة تنمو وتتطوّر وتحوّل، والمناهج الدراسيّة لا تدخل السباق وتسعى إلى السبق، فإن المدارس وأجيالها هي الخاسرة
abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.